عملية التسامي الروحي
على أرضية مسيرة الأربعين العالمية

م.م.مريم چلمقاني
مُدرسة، باحثة وخريجة المستوى الرابع في الحوزة العلمية، المركز التخصصي
فاطمة الزهراء سلام الله عليها – أصفهان
Maryamcholmaghani@yahoo.com

الملخص

لقد حظيت ظاهرة مسيرة الأربعين الحديثة، باعتبارها أحد أكبر التجمعات الدينية في العالم خلال العقود الأخيرة، باهتمام متزايد من قبل الباحثين والمفكرين في مختلف حقول العلوم الإنسانية والاجتماعية. لقد أصبحت هذه الحركة الشعبية التلقائية، ليس فقط كشعيرة دينية، بل كتجربة حياتية ذات مغزى وأرضية محتملة للتحول الفردي والاجتماعي، في بؤرة اهتمام الباحثين خلال العقود القليلة الماضية. يهدف البحث الحالي، بدافع تحليل عميق لعملية التسامي الروحي في هذه الأرضية الفريدة، إلى دراسة أبعاد ومراحل وآليات هذا التحول الجذري. تسعى هذه الدراسة للإجابة على السؤال الأساسي: "كيف يمكن لمسيرة الأربعين أن تكون أرضية مناسبة لتحقيق التسامي الروحي؟" يسعى هذا البحث إلى تحديد وتفسير وتحليل دقيق للمكونات المحورية لهذه العملية، من منظور نظري وتجريبي. تعتمد منهجية البحث في هذه الدراسة على وصف وتحليل النصوص والوثائق المتعلقة بالموضوع في مجال العلوم الإنسانية والدراسات الدينية. الهدف الأسمى للبحث هو تقديم إطار نظري متماسك لفهم أفضل لعملية التسامي الروحي في هذه الأرضية الخاصة. تشير النتائج الأولية إلى أهمية مكونات مثل "التأملات العميقة والتفكير النقدي"، و"تعزيز الإرادة والعزيمة الراسخة"، و"تجربة التعاطف والتضامن"، و"التمسك بالمعتقدات الدينية والإيمانية"، و"إقامة علاقات ذات مغزى وتفاعلات بين شخصية" في هذه العملية. في النهاية، سيساهم البحث الحالي، من خلال تقديم تحليل شامل وموثق ومتعدد التخصصات لأبعاد التسامي الروحي المختلفة في مسيرة الأربعين، في تعميق فهم هذه الظاهرة وتقديم إطار نظري للأبحاث المستقبلية والتطبيقية في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: التسامي الروحي، مسيرة الأربعين، عملية، تجربة حياتية، دراسات دينية، تنمية فردية، نمو روحي، زيارة.

The Process of Spiritual Transcendence on the Basis of the Global Arbaeen March"

Maryam Cholmaghani

Teacher, Researcher, and Fourth-Level Graduate of the Seminary (Hawza), Fatima al-Zahraa (peace be upon her) Specialized Center – Isfahan

Abstract

In recent decades, the phenomenon of the modern Arbaeen March—considered one of the largest religious gatherings in the world—has increasingly attracted the attention of researchers and thinkers across the fields of humanities and social sciences. This spontaneous popular movement has come to be regarded not only as a religious ritual, but also as a meaningful life experience and a potential ground for individual and social transformation. Over the past few decades, it has become a focal point for scholarly inquiry.

Motivated by a deep analysis of the process of spiritual transcendence within this unique context, the present study seeks to investigate the dimensions, stages, and mechanisms of this profound transformation. It aims to address the central question: How can the Arbaeen March serve as a suitable ground for achieving spiritual transcendence? The research aspires to identify, interpret, and carefully analyze the key components of this process from both theoretical and empirical perspectives.

The study employs a methodology based on the description and analysis of relevant texts and documents within the fields of humanities and religious studies. Its ultimate goal is to present a coherent theoretical framework for a better understanding of the process of spiritual transcendence in this particular context.

Preliminary findings highlight the significance of components such as deep reflection and critical thinking, strengthening willpower and firm determination, experiencing empathy and solidarity, commitment to faith and religious beliefs, and establishing meaningful relationships and interpersonal interactions in shaping this process.

In conclusion, by providing a comprehensive, well-documented, and multidisciplinary analysis of the various dimensions of spiritual transcendence in the Arbaeen March, this research contributes to deepening the understanding of this phenomenon and offers a theoretical framework for future scholarly and practical studies in the field.

Keywords: Spiritual Transcendence , Arbaeen March , Process,Life Experience , Religious Studies , Personal Development , Spiritual Growth ,Ziyarat.

مقدمة

لقد استقطبت مسيرة الأربعين، باعتبارها حدثًا اجتماعيًا ضخمًا في العالم الشيعي، اهتمامًا متزايدًا في السنوات الأخيرة ضمن مختلف حقول العلوم الإنسانية والاجتماعية. هذا الحدث العظيم الذي يجمع ملايين الأفراد سنويًا من جميع أنحاء العالم، ليس مجرد شعيرة دينية، بل هو ظاهرة اجتماعية-ثقافية ذات أبعاد واسعة يمكن أن توفر أرضية للدراسات العميقة في مجالات متنوعة بما في ذلك علم النفس وعلم الاجتماع والدراسات الدينية (رمضاني تميجاني، ٢٠٢٠م). الأربعين مقدمة كشعار ورمز خاص بالشيعة لا يختص إلا بالإمام الحسين ﷺ، والزيارة والعزاء في هذا اليوم علامة على الإيمان والالتزام الديني للزائرين. هذه الرمزية القوية تعزز الهوية الدينية والروحية للزائرين وتدفعهم نحو النمو والارتقاء الروحي (حسینی‌الطهرانی، ٢٠١٦م).

من بين الجوانب المتعددة لهذه الظاهرة، يمكن لعملية التسامي الروحي للزوار أن تكون محل بحث وتأمل، باعتبارها أحد جوانبها الخاصة. التسامي الروحي (Self-actualization)، وهو مفهوم طرحه أبراهام ماسلو في نظرية تدرج الاحتياجات، يُعرف بأنه أعلى مستوى من النمو والتطور الإنساني، وفي السياق الروحي، يرتبط هذا المفهوم بالتجارب الروحانية العميقة وإدراك معنى الحياة.

توفر مسيرة الأربعين، بخصائصها الفريدة، بيئة يمكن أن تمهد الطريق لتحولات داخلية وروحية عميقة لدى الأفراد. تخلق هذه البيئة، بمزيج من العناصر المادية (مثل المسير الطويل والتحديات الجسدية) والروحية (مثل الأجواء الروحانية والشعور بالمشاركة مع الزوار الآخرين)، أرضية فريدة للتجارب التحويلية (درودیان، ٢٠١٨م).

بيان المشكلة

في المشهد المليء بالتحديات للعالم المعاصر، الذي يواجه أزمات المعنى، التصدعات الاجتماعية، والفردية المفرطة، أصبح البحث عن نماذج جديدة للتسامي الفردي والروحي أكثر إلحاحًا من أي وقت مضى (Frankl, 2006; Bauman, 2000). وفي غضون ذلك، حظيت التجارب الروحية العميقة والطقوس الجماعية، كأرضيات محتملة للتحول والتسامي الروحي، باهتمام متزايد من قبل الباحثين في مختلف حقول العلوم الإنسانية (Turner, 1969; Geertz, 1973). تعرض ظاهرة مسيرة الأربعين، بخصائصها الفريدة، بما في ذلك الحضور المليوني للزوار من مختلف الثقافات والجنسيات، أبعادًا واسعة من الروحانية والتسامي الذاتي (Momeni, 2018; Pakatchi, 2020). يمكن دراسة هذه الظاهرة، ليس فقط كطقس ديني تقليدي، بل كتجربة حياتية عميقة وعملية تحويلية، ضمن إطار أرضية مناسبة للتسامي الروحي على الصعيدين الفردي والاجتماعي.

التسامي الروحي، كعملية ديناميكية ومتعددة الأبعاد، يعني السعي الواعي والمستمر للفرد لاكتشاف وتحقيق إمكاناته الروحية الكامنة، بهدف الوصول إلى الكمال والرضا الداخلي (Maslow, 1968; Emmons, 2000). توفر مسيرة الأربعين، من خلال دمج المعاناة والروحانية، وخلق أجواء مليئة بالتضامن والتعاطف، أرضية لا مثيل لها للمواجهة الذاتية، واكتشاف المعنى العميق للحياة، وتجربة الشعور بالاتصال بما وراء المادة. ومع ذلك، على الرغم من الإمكانات الكامنة لمسيرة الأربعين لتحقيق التسامي الروحي، فإن العملية والآليات الدقيقة لهذا التحول لا تزال مجهولة ومعقدة، وتحتاج إلى أبحاث أعمق وأكثر منهجية.

على الرغم من أن الدراسات السابقة حول مسيرة الأربعين قد تناولت جوانبها المختلفة، بما في ذلك الجوانب السوسيولوجية والنفسية والثقافية (حسيني، ٢٠١٨م؛ أميني وزملاؤه، ٢٠٢١م؛ حيدرى، ٢٠١٩م)، إلا أن الدراسة الدقيقة والمنهجية لعملية التسامي الروحي، وتوضيح كيفية تأثير هذه الظاهرة على النمو والتطور الروحي للزوار، لا تزال بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة. على وجه الخصوص، يبدو أن غياب الأبحاث النوعية التي تركز على التجارب الحياتية للزوار والتحليل العميق لآليات هذه العملية، يمثل فجوة خطيرة في الأدبيات البحثية. لذلك، يهدف البحث الحالي، بدافع تحليل هذه الظاهرة، إلى دراسة أبعاد ومراحل وآليات عملية التسامي الروحي في سياق مسيرة الأربعين.

تسعى هذه الدراسة للإجابة على السؤال الأساسي: "كيف يمكن لمسيرة الأربعين أن تكون أرضية مناسبة لتحقيق التسامي الروحي؟" الهدف الرئيس لهذا البحث هو تقديم إطار نظري متماسك وموثوق لتوضيح عملية التسامي الروحي في سياق مسيرة الأربعين، وكذلك الدراسة المنهجية والعميقة للتجارب الحياتية للزوار من هذا المنظور. يعتمد هذا البحث نهجًا نوعيًا، وباستخدام المنهج الفينومينولوجي (الظاهراتي)، يسعى إلى اكتشاف وتفسير التجارب العميقة للزوار من أجل تحقيق فهم أدق وأعمق لهذه الظاهرة. هذا البحث ليس فقط مهمًا في توسيع المعرفة النظرية في مجال الدراسات الدينية وعلم نفس الروحانية؛ بل يمكن أن يكون له تطبيقات عملية مهمة في مجالات مثل الاستشارة الروحية، والتخطيط الثقافي، وحتى السياسات المتعلقة بالسياحة الدينية. في الختام، يسعى هذا المقال، من خلال تقديم نتائج مبنية على الأدلة والحجج المنطقية، إلى المساعدة في فهم أفضل لظاهرة التسامي الروحي في سياق مسيرة الأربعين، وكذلك تقديم مقترحات للأبحاث المستقبلية في هذا المجال. لذلك، يُصاغ هيكل البحث على النحو التالي:

السؤال الرئيسي:

كيف يُشكّل مسار مشي الأربعين كتجربة روحية واجتماعية، أرضية لتحقيق الذات الفردية والجماعية لدى الزائرين؟

الأسئلة الفرعية:

١. ما هي القيم والخصائص الروحية والاجتماعية التي تعزز خلال مسار مشي الأربعين؟

٢. ما دور التفاعلات الجماعية ومشاركة الزائرين في مسار مشي الأربعين في تحقيق عملية تحقيق الذات؟

٣. ما هي الآليات والعوامل الثقافية والتربوية التي تسهم في نمو وارتقاء الروحاني لدى الزائرين خلال مسار مشي الأربعين؟

٤. كيف يمكن لمسار مشي الأربعين أن يعمل كـ"مدرسة تربوية" في عملية التحول والنمو الروحي للإنسان؟

خلفية البحث

بشكل عام، يمكن تقسيم الدراسات التي أجريت حول الأربعين إلى عدة فئات. الفئة الأولى تتمحور حول الروايات والتفاسير المتعلقة بواقعة كربلاء وعاشوراء والأربعين، وينصب تركيزها بشكل أكبر على الجوانب الروائية الدينية والسياسية (شيرازي، ٢٠١٤م؛ أباذري، ٢٠١٤م؛ كلي زواره، ٢٠١٤م). أما الفئة الثانية فقد تناولت القضايا الاجتماعية والثقافية والدروس التي ينبغي استخلاصها من عاشوراء والأربعين (حسيني جلالي، ٢٠١٤م). الفئة الثالثة من الدراسات اقتصرت على مجال السياحة الدينية، الذي يتمتع به المجتمع الإيراني بحكم طبيعته

ووجود الإمكانيات الثقافية والدينية (خوشخو وبد، ٢٠١٦م؛ مافي وسقائي، ٢٠٠٩م). إن تعدد هذه الحالات يمنع من ذكر ومراجعة موجزة لنتائجها جميعًا. بالإضافة إلى ذلك، فإن عددًا محدودًا منها فقط يتشابه ويتداخل مع موضوع الدراسة الحالية، ويمكن الاستشهاد بها واستخدامها كخلفية للمقالة الراهنة.

في مقالها "دراسة أبعاد ومكونات المشاركة الجماعية الذهنية في مسيرة الأربعين" (٢٠٢٠م)، ركزت صديقة رمضاني تميجاني على ميدان المشاركة الجماعية في مسيرة الأربعين، وقامت بتقسيم هذا الميدان إلى ثلاث طبقات: ظاهرة، وشبه ظاهرة، وخفية. وصفت الكاتبة الخصائص المميزة والفريدة للأبعاد والمكونات الخفية لهذا الميدان الاجتماعي، أو بعبارة أخرى، العالم الذهني للمشارك. وخلصت إلى أن العالم الذهني للمشارك في الأربعين ينبع من ناحية من رؤية مبنية على الوحي للكون، ومن ناحية أخرى يتضمن تصورات وتصديقات تتعلق بمتطلبات الزمان والمكان في عالم الإسلام اليوم. إن أنماط التفكير مثل الإيجابية والشمولية، وكذلك النظرة العالمية والتاريخية للأمور، والنظام القيمي المختلف للمشاركين في الأربعين، متجذرة في الفهم الشمولي للعالم المحيط ونوع من فلسفة التاريخ ونظام أخلاقي خاص.

كما تناولت رمضاني تميجاني في مقال آخر بعنوان "تقديم نموذج المشاركة الجماعية لظاهرة مسيرة الأربعين" (٢٠٢٠م) دراسة نموذج المشاركة الجماعية، وخلصت إلى أنه في الطبقة الخفية، يعتمد على الحكمة، وفي الطبقة شبه الخفية، يعتمد على الفطرة السليمة والمجتمع، وفي الطبقة الظاهرة، يتمحور حول الروحانية. تُبنى كل طبقة وتتشكل على أساس الطبقة التي تحتها، وبما أن الحكمة الجارية والسارية في الطبقة الخفية، إلى جانب العقل والحس، تستفيد من الوحي، فإن النموذج بأكمله يتخذ طابعًا دينيًا وصبغة دينية.

في دراسة بعنوان "فينومينولوجيا تجربة مسيرة الأربعين" (٢٠١٧م)، قام فرهادي بإجراء بحث نوعي ميداني، وحلل ظاهراتيًا أحد أهم التطورات في الشعائر الدينية؛ إذ أصبحت التجارب المعيشة للزوار الإيرانيين في مسيرة الأربعين الحسيني (عام ١٣٩٦ – العراق) نقطة محورية للبحوث في مجال سوسيولوجيا الدين. شملت نتائج تحليل المقابلات في هذا المقال فئات مثل نوع الزوار الطالبين للحاجات، والزوار السياح، والزوار التقليديين (الأتقياء)، والزوار المثاليين، والزوار المهتمين بالطقوس، والزوار المهتمين بالمصلحة، والزوار المهتمين بالمساحة. وهكذا، فإن هذا البحث هو محاولة لقراءة وتفسير علمي لمسيرة الأربعين، وقد تم إنجازه من خلال عمليات تحليلية ونظريات مكملة.

وفي مقال "دراسة إمكانات وأرضيات المناسك الزيارية بناءً على فهم النظام المعنوي للمشاركين في مسيرة الأربعين" (٢٠٢٣م)، أشار رضا دوست وشهرياري إلى الجوانب الروحية والتسامي الذاتي في مسيرة الأربعين. الفئة المحورية في البحث هي "مسيرة الأربعين تجسيد لعالم الحياة المنافس للحداثة وإعادة بناء الذات". واستنادًا إلى نتائج البحث، يرى المشاركون أن مسيرة الأربعين هي فرصة للتسامي الذاتي لا يمكن تفسيرها بنظام تناسب الأهداف والوسائل في إطار العقلانية الأداتية المعتادة. وفي خضم هذه الظاهرة الدينية، يسعى الزوار من خلال الأدعية والذكر إلى تزكية أنفسهم، ويعتقدون أنهم يمكنهم استغلال هذه الفرصة للتسامي الروحي.

تطرقت أفشاني، خرمبور وممبيني في مقال بعنوان "دراسة العلاقة بين التدين والتسامي الروحي (دراسة حالة طلاب جامعة يزد)" (٢٠١٤م) إلى التبيان النظري والتجريبي للعلاقة بين التسامي الروحي والتدين، وذكروا التأثير المباشر والمعنوي للتدين على التسامي الروحي؛ لكنهم لم يشيروا إلى مسيرة الأربعين كرمز ديني.

في مقال "مسيرة الأربعين ودلالة فعل زيارة الزوار الشباب" (٢٠٢٠م)، قام غلامرضا تاجبخش، باستخدام منهج أخذ العينات النظري والهادف، وبعد تحليل البيانات النوعية، بتحديد خمسة محاور رئيسة:

١. السفر الجسدي.
٢. الجانب المعرفي، الاعتقادي.
٣. التجريبي، الشعوري.
٤. نمط الحياة الأربعيني.
٥. الهوية الأربعينية.

تشير النتائج العامة للبحث إلى أن مسيرة الأربعين تُعد عاملاً مكونًا للهوية وتلعب دورًا أساسيًا في راحة ونشاط وحيوية الشباب الروحية والجسدية والنفسية. كما أن تفوق النية الروحية والأخروية للزوار على النوايا المدنية والمادية والدنيوية هو من النتائج الأخرى لهذا البحث. يستخدم هذا المقال المنهج الظاهراتي لدراسة مسيرة الأربعين، لكن تركيزه ينصب على التجارب الروحية وليس على التسامي الروحي.

كما أشار محمدجواد درودیان في مقاله بعنوان "المنظور الروحي لحدث مسيرة الأربعين الحسيني" (٢٠١٨م) إلى أن التعاطف، والشعور بالأمان رغم انعدام الأمن، وكرم الضيافة الصادق، وتجربة الحب الطوعي، وأخيرًا الحب المتبادل بين المضيف والضيف لسيد الشهداء عليه السلام، هي المكونات التي تشكل فهم الزوار الروحي، وهذه الحالات هي مظاهر خاصة للروحانية في الأربعين.

بحث آخر بعنوان "مسيرة الأربعين وبناء الذات الفردية والاجتماعية" (٢٠٢٣م) من تأليف الدكتور رضا غلامي. في هذه المقالة، يتناول الكاتب مسيرة

الأربعين كفرصة فريدة لبناء الذات على المستويين الفردي والاجتماعي. ومن أهم خصائص هذا الطريق، الصمت والتأمل الذاتي، مما يمهد لظهور الذات الحقيقية. كما أن هذه المسيرة تُعد فرصة لممارسة الصبر، وتحمل المشاق، وإعادة تعريف الهوية الدينية والاجتماعية للحجاج. وقد كُتبت المقالة استنادًا إلى التجربة الحياتية والمشاهدات الميدانية، وتغطي الجوانب النظرية والتطبيقية للتربية الإسلامية.

مقالة "نظرة على الأبعاد الفردية والاجتماعية للمشاركة في الرحلة الروحية لمسيرة الأربعين" (٢٠٢٢م) بقلم حجة الإسلام نوايي، تتناول الإنجازات الأخلاقية والتربوية لمسيرة الأربعين على الصعيد الفردي. من أهم نتائج هذه الرحلة الروحية: بناء الذات وتهذيب النفس، السكينة الروحية، العزة، رفعة الشخصية، والصبر والمقاومة. إن تحمل مشاق الطريق يُعد فرصةً لممارسة الصبر والتحمل، كما أن زيارة الإمام الحسين عليه السلام تهيئ أرضيةً للتزكية والتطهير الداخلي للزوّار الاربعين.

في مقالته "مسيرة الأربعين وأبعادها التربوية" (٢٠٢٠م)، قام غلامرضا تاجبخش بدراسة نوعية استنادًا إلى المقابلات والملاحظة بالمشاركة مع زوار الأربعين، حيث تناول الأبعاد التربوية لهذه المسيرة على ثلاثة مستويات: الفردي، الأسري والاجتماعي. تظهر النتائج أن مسيرة الأربعين تساهم في زيادة البصيرة، وعزة النفس، وبناء الذات الروحية، والتقارب بين الأجيال، وتصحيح نمط الاستهلاك، والهوية الدينية، والصحة النفسية، والثقة الاجتماعية. وتؤكد هذه المقالة أن للأربعين دورًا أساسيًا في التربية الإسلامية للمجتمع.

في مقال "دراسة التأثيرات الروحية والاجتماعية لمسيرة الأربعين على الزوار" (٢٠٢٤م)، تم الإشارة إلى الثواب والفضائل الروحية لمسيرة الأربعين. من بينها تقوية الإيمان، وبناء الذات وتزكية النفس، وزيادة الصبر وتحمل المشاق، والمعرفة الأعمق بالإمام الحسين عليه السلام والارتباط الروحي به. ويؤكد المقال أن هذه الزيارة تُعد أرضيةً للنمو الروحي وتعزيز المعتقدات الدينية.

لقد تناولت الدراسات المذكورة أبعادًا روحية واجتماعية وفردية لمسيرة الأربعين من زوايا مختلفة. على الرغم من عدم العثور على مقال مباشر بعنوان "التسامي الروحي وزيارة الأربعين" تحديدًا، إلا أن المصادر المذكورة تناولت جوانب مختلفة من العلاقة بين الروحانية والتدين والتسامي الروحي، والتي يمكن أن تكون مفيدة وقابلة للاستشهاد بها في دراسة موضوع التسامي الروحي في سياق زيارة الأربعين.

تُظهر مراجعة خلفية البحث أنه على الرغم من وجود دراسات متعددة في مجال مسيرة الأربعين بأبعادها الاجتماعية والثقافية، لا توجد دراسة شاملة ومنهجية حول "عملية التسامي الروحي على أرضية مسيرة الأربعين". يهدف البحث الحالي، بهدف سد هذه الفجوة البحثية، إلى دراسة هذا الموضوع بدقة وعمق، وسيساهم من خلال تقديم إطار نظري متماسك وموثق بأدلة تجريبية في تطوير المعرفة في هذا المجال.

اولا / التسامي الروحي في النظريات النفسية (self-actualization):

التسامي الروحي هو مصطلح في علم النفس الإنساني ويعني تحقيق الفرد لأقصى إمكاناته الكامنة بنفسه. لقد طُرح هذا المفهوم لأول مرة بواسطة غولدشتاين بمعنى تحقيق جميع جوانب الفرد وقدراته الداخلية (إسماعيل‌خاني، ٢٠٠١م: ٣)، ثم اعتبره ماسلو ضمن هرم تدرج الحاجات كواحدة من الاحتياجات الإنسانية الأساسية. كان ماسلو يؤمن بأن تحقيق السعادة والصحة والأداء الأمثل للإنسان مرهون بعملية التسامي الروحي (هايليگن، ١٩٩٢م). ومن وجهة نظر ماسلو، فإن التسامي الروحي هو عملية مستمرة تؤدي إلى تحسين الصحة النفسية للفرد (ماسلو، ١٩٧٠م).

اعتقد روجرز أن الميل الأساسي لكل كائن حي هو السعي نحو التطور والبقاء وتعزيز تجاربه من أجل إزهار مواهبه الكامنة. كما أكد على أهمية التفاعلات الاجتماعية في عملية التسامي الروحي (راجرز، ١٩٥١م). وربط فرانكل التسامي الروحي بالقدرة على إدراك الجوانب ذات المعنى والإيجابية في أحداث الحياة (بتري، ١٩٩٦م).

بشكل عام، يمكن اعتبار التسامي الروحي عملية تطور القدرات الكامنة للفرد إلى أقصى حد. والفرد المتسامي روحيًا هو من حقق حياته بالكامل وهي أكثر ثراءً من حياة الفرد العادي (داهى، ١٩٨٣م). بشكل عام، يعني التسامي الروحي الاستفادة الكاملة من المواهب والقدرات والإمكانات الكامنة للفرد وتنميتها.

التسامي الروحي في نظرية ماسلو هو أعلى مستوى في هرم الحاجات الإنسانية. وضع ماسلو الحاجات الأساسية للإنسان في هرم من خمس طبقات. في هذا الهرم، توجد الحاجات الأبسط والأكثر حيوية في الأسفل، والحاجات الأكثر تعقيدًا في

الأعلى. تُعالج حاجات المستويات العليا عندما يتم تلبية حاجات المستويات الدنيا.

تشمل الطبقات الأربع الأولى من هرم ماسلو الحاجات الأساسية التي يؤدي عدم توفيرها إلى القلق والتوتر (غرين،٢٠٠٠م: ١٤). هذه الحاجات هي:

- الحاجات الفسيولوجية: تشمل الماء، والغذاء، والهواء، والنوم، والعلاقة الجنسية.
- حاجات الأمان: تشمل الأمن، والاستقرار، والدعم، والتحرر من الخوف والقلق.
- حاجات الانتماء والمحبة: تشمل العلاقات الوثيقة مع الآخرين.
- حاجات التقدير: تشمل احترام الذات والاحترام من قبل الآخرين.

الطبقة الخامسة، التسامي الروحي، هي أعلى الحاجات وتتضمن تحقيق الإمكانات الكامنة ومعرفة العالم المحيط (شولتس، ٢٠١١م: ٧٢-٩٢).

من منظور ماسلو، يتمتع الأفراد المتسامون روحيًا بخصائص مشتركة. فهم يتقبلون الحقائق، ولديهم فهم أوضح للعالم، ويظهرون اهتمامًا بحل مشاكلهم ومشاكل الآخرين. كما يقيم هؤلاء الأفراد علاقات عميقة ومحبة مع الآخرين (غرين، ٢٠٠٠م).

ماسلو، الذي يُعرف بأبي علم النفس الإنساني، وجد أنه عندما يتم تلبية الحاجات الأساسية للأفراد، فإنهم يصبحون قادرين على تطوير قدراتهم لحياة صحية وناضجة. وقد سمى هذه القدرة بـ التسامي الروحي ووصفها بأنها الاستخدام الكامل للمواهب والإمكانات (جتاسبا، ٢٠٠٤م).

في الختام، يعني التسامي الروحي السعي للوصول إلى الكمال الذي يمتلك الفرد القدرة على تحقيقه. وفقًا لماسلو، يمتلك جميع الأفراد إمكانية التسامي الروحي

ويجب أن يصبحوا ما يمكنهم أن يصبحوا. يشير التسامي الروحي إلى الميل الأساسي لكل فرد نحو تفعيل وإزهار أقصى إمكاناته وقدراته الداخلية (بور حسن، ٢٠٠٤م: ١٢). بعبارة أخرى، التسامي الروحي هو عملية يسعى من خلالها الشخص إلى تحقيق إمكاناته الكامنة بشكل كامل والتحول إلى أفضل نسخة من نفسه.

بناءً على نظرية ماسلو، يتطلب تحقيق التسامي الروحي تلبية الحاجات الأساسية للإنسان. يجب أولاً تلبية حاجات المستوى الأدنى حتى يتمكن الفرد من الوصول إلى أعلى مستوى من الحاجات، وهو التسامي الروحي. يرتبط التسامي الروحي ارتباطًا وثيقًا بالصحة النفسية؛ فالأفراد الذين يتمتعون بصحة نفسية أعلى لديهم إمكانات أكبر للتسامي الروحي (شولتس، ٢٠١١م: ٧٢-٩٢).

بما أن معظم الأديان تهدف إلى وصول الإنسان إلى الكمال والسعادة وتعتبر هذا حاجة داخلية وروحية، فيمكن القول إن التسامي الروحي من منظور ماسلو هو أيضًا حاجة داخلية وروحية. هذه الحاجة تؤدي إلى زيادة الثقة بالنفس، ومعنى الحياة، والشعور بالأمان والرضا عن الذات، وهو ما يتوافق مع المبادئ المطروحة في الأديان.

ثانيا/التسامي الروحي في التعاليم الإسلامية(Self-realization in Islamic teachings):

التسامي الروحي في المنظومة الفكرية الإسلامية هو عملية وجودية وتصاعدية تبدأ بمعرفة النفس كمرآة للجمال الإلهي. يقوم هذا المفهوم على أساس الحديث النبوي الشريف: "مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ" (بحار الأنوار، ج٢، ص٣٢)، الذي يجعل معرفة الذات الخطوة الأولى لمعرفة الله، مما يدل على الارتباط الوجودي بين معرفة الذات والتوحيد. يدعو القرآن الكريم الإنسان إلى التأمل في بنيته الوجودية بالإشارة

إلى الآيات الأنفسية في قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات/ ٢١)، ويؤكد على التزكية الباطنية في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس/ ٩)، رابطًا مسار التسامي الروحي بتطهير النفس من الرذائل وترسيخ الفضائل الأخلاقية. يقول العلامة الطباطبائي في تفسيره لآية "وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ" إن المقصود من "أنفسكم" جميع أبعاد وجود الإنسان، سواء الجسد وأعضاؤه، أو الروح وقواه الإدراكية، والنظام العجيب في بناء البدن، والاحتياجات الجسدية والنفسية، والغَرائز، والمشاعر، وقوة التفكير والتعقل. ويؤكد أن الإنسان إذا نظر بدقة إلى نفسه، سيدرك كيف تحوّل من نطفة لا قيمة لها إلى كائن معقد يمتلك العقل والشعور، وهذا بحد ذاته من أعظم دلائل قدرة الله وحكمته. ويخلص الطباطبائي إلى أن كل إنسان، إذا تأمل في تركيبه الجسدي والروحي وفي قواه واستعداداته، سيجد علامات واضحة على قدرة الله وحكمته، وهذه الآية تدعو الإنسان إلى التأمل والبصيرة في وجوده نفسه (الطباطبائي، ١٩٩٥م، ج ١٨: ٥٦٠).

في شرح هذه العلاقة، يعتبر الإمام علي ﷺ معرفة الذات مقدمة "الجهاد الأكبر": "مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ جَاهَدَهَا" (ميزان الحكمة، ج٨، ص٣٥٦٧)، مما يدل على ضرورة مجاهدة الرغبات النفسية بعد المعرفة العميقة للذات. في هذا المسار، تسير النفس الإنسانية في مراحل تطورية هي: "أمارة" و"لوّامة" و"ملهمة" و"مطمئنة" و"راضية" و"مرضية"، وكل منها يعكس التفاعل بين الغرائز المادية والجاذبيات الروحية (أنصاريان، ٢٠٠٧م). ويصف الإمام علي ﷺ هذه الرحلة الداخلية بقوله: "النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا" (نهج البلاغة، حكمة ١٤٧)، مما يشير إلى ضرورة اليقظة الروحية قبل حلول الموت.

يعتمد العرفان الإسلامي، بالاستناد إلى السلوك العملي الذي يشمل المجاهدات النفسية والرياضات الشرعية والتفكر في الآيات التكوينية، على تفسير التسامي الروحي

ليس كهدف دنيوي، بل كتجلٍ لـ "الفناء في الله". هذه العملية، من خلال عبور مراحل "التزكية" و"التهذيب" و"التحلية"، توصل الإنسان إلى مقام تختفي فيه الإرادة الفردية في المشيئة الإلهية. وتشمل مكونات هذا المسار العبادة الواعية، والأخلاق الفاضلة، والعقلانية التوحيدية، التي يؤكد عليها القرآن في قوله تعالى: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد/ ٢٨) و "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ" (النساء/ ٨٢). في النهاية، يتجاوز التسامي الروحي الإسلامي المحورية الذاتية الماسلوية، ويرتقي بالإنسان بتحويل "الذات" إلى "مرآة للحق" إلى مقام "العبد المخلص" (مريجى، ٢٠٢٤م).

يرسم القرآن الكريم مسار التسامي الروحي بتقسيم مراحل تطور النفس إلى "أمّارة"، "لوّامة"، "ملهمة"، "مطمئنة"، "راضية" و"مرضية". وتؤكد الآية الكريمة: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس/ ٧-٨) على الاستعداد المزدوج للإنسان للضلالة والتقوى، بينما تُعرف الآية: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (الفجر/ ٢٧-٢٨) غاية هذا المسار بـ "الرضا الإلهي". وفي تفسير هذه العملية، يرى الإمام الباقر عليه السلام أن التسامي الروحي هو نتيجة "المجاهدة العلمية-العملية": "الْعِلْمُ مُقَارِنٌ لِلْعَمَلِ، فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ" (بحار الأنوار، ج٢، ص٣٢).

في الروايات، تُعدّ معرفة الذات محور الأخلاق الإسلامية. يقول الإمام الصادق عليه السلام: "مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ كَانَ لله عَابِدًا" (أصول الكافي، ج٢، ص٤٥)، مما يدل على تحول الوعي الذاتي إلى عبادة خالصة. ويعد القرآن أيضًا في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس/ ٩) تزكية النفس شرطًا للفلاح. يقول فخر الرازي إن آية "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها" يمكن تفسيرها بطريقتين: إما أن المقصود هو أن الإنسان ينجح بتطهير نفسه من الذنوب وأداء الطاعات، أو أن الله عز وجل هو الذي زكى النفس. ولكن الرأي الأول، وهو أن الإنسان بنفسه يحقق النجاح من خلال تزكية النفس،

هو الأقرب والأصح منطقيًا. كما يؤكد الكاتب أن تغيير الحكم الإلهي مستحيل، وأن رجوع الضمير إلى "النفس" هو الأقرب والأصح. وفي النهاية، تدعو هذه الآية الإنسان إلى تزكية النفس وطلب التقوى من الله ﷻ (الرازى، ج٣١، ص١٧٧). ويوضح الإمام علي ﷺ العلاقة بين معرفة الذات والمسؤولية الاجتماعية على النحو التالي: "مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهَوَاتُهُ" (نهج البلاغة، حكمة ٤٤٩)، مما يدل على تأثير الوعي الذاتي في كبح الشهوات.

يعتمد العرفان الإسلامي، بالاستناد إلى السير والسلوك العملي، على أن التسامي الروحي مرهون بـ "الفناء في الله". ويشير مولانا جلال الدين الرومي في المثنوي، استنادًا إلى الآية الكريمة: "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ" (الرحمن/ ٢٦-٢٧)، إلى أن الموت النفسي هو مقدمة للحياة الحقيقية. في هذا المسار، تم التأكيد على "المراقبة" و"محاسبة النفس" كأدوات عملية. يقول رسول الله ﷺ): "حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا" (كنز العمال، حديث ٧٠٨٧)، مما يذكّر بضرورة التقييم الذاتي اليومي (كلبايكاني، ٢٠١١م).

بشكل عام، يبدو أن التعاليم الإسلامية، من خلال التركيز على معرفة الذات، وتزكية النفس، والسلوك الروحي، تقدم نموذجًا شاملاً وهادفًا لتحقيق التسامي الروحي الحقيقي للإنسان؛ نموذجًا يجد فيه التسامي الفردي معناه في الارتباط بالعبودية الإلهية، والمسؤولية الاجتماعية، والفناء في الله، ويرشد الإنسان إلى مقام العبد المخلص ومرآة الجمال الحق. هذا النهج لا يغطي فقط الأبعاد النفسية والأخلاقية لنمو الإنسان، بل يرسم أيضًا مسار الكمال والخلاص في سياق الحياة الفردية والاجتماعية، بالاعتماد على المصادر القرآنية والروائية.

نتائج البحث والتحليل

مكونات التسامي الروحي على أرضية مسيرة الأربعين

تُعدّ مسيرة الأربعين، كظاهرة هولوغرافية، أرضية لظهور مكونات التسامي الروحي التي تتشكل في تفاعل ديناميكي فردي-اجتماعي وعرفاني-اعتقادي. هذه المكونات لا تتداخل فقط مع نظريات علم النفس الروحي الغربي، بل ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالتعاليم الإسلامية النقية وسيرة الإمام الحسين عليه السلام. يمكن تقسيم هذه المكونات إلى فئتين رئيسيتين:

اولا / المكونات الداخلية (الفردية) (Internal Aspects (Individual :

تشير المكونات الداخلية للتسامي الروحي في مسيرة الأربعين إلى الأبعاد الروحية والنفسية العميقة المرتبطة بالنمو والتطور الفردي للزائر. توفر هذه الرحلة الروحية فرصة فريدة لتجربة ذروة الروحانية والشعور بالارتباط العميق بالأمر المتعالي، وتساعد الزائر على إضفاء معنى على الآلام والمصاعب في الطريق، وفي ضوء هذا المعنى، يحقق السلام والرضا الداخلي. إن مسيرة الأربعين، من خلال تعزيز الإيمان والاعتقاد بالله والمعارف الإسلامية، تمهد الطريق لتزكية النفس، والصبر، والألفة والتعرف على الإمام الحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، وإعادة اكتشاف وتعزيز الهوية الدينية للزائر. تُحدث تجربة هذه الرحلة تحولات عميقة في مشاعر الإنسان وروحه وقلبه؛ بما في ذلك الشعور بالحضور في محضر المعصوم، والشوق، والسكينة، والأمل، والشعور بالقيمة والكرامة الذاتية. وهكذا، تلعب المكونات الداخلية لرحلة الأربعين دورًا مهمًا في مسار النمو والتطور النفسي والروحي للأفراد، وتدفع الزائر نحو التسامي الذاتي والكمال الأخلاقي (جوادي آملي، ٢٠٠٨م). وفي هذا السياق، سيتم مناقشة وبحث عدد من هذه المكونات كأمثلة.

١. التأملات العميقة والتفكير النقدي (Deep Reflection and Critical Thinking):

يتجلى هذا المكون، الذي يتوافق مع "التفكير الوجودي النقدي" في نظرية كينغ (King, 2008)، في زيارة الأربعين على شكل إعادة تفكير في مفاهيم مثل الشهادة، والعدالة، والمقاومة، ومعنى الحياة والموت، وفلسفة ثورة عاشوراء. يؤكد القرآن الكريم بعبارة ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ (النساء/ ٨٢) على ضرورة التعمق في العلامات الإلهية. يقوم الزوار، أثناء زيارة الإمام الحسين ﷺ، بإعادة قراءة فلسفة ثورة عاشوراء، مما يخلق نوعًا من "الوعي التاريخي بالذات" (درودیان، ٢٠١٨م). ويقول الإمام الصادق ﷺ في تفسير هذه العملية: "الْعِلْمُ مُقَارِنٌ لِلْعَمَلِ" (بحار الأنوار، ج٢، ص٣٢)، مما يشير إلى الارتباط بين التفكير العميق والفعل الواعي. إن أربعين الإمام الحسين ﷺ هي مدرسة الأخلاق القرآنية والعرفانية، التي يمكن استخلاص مكونات الأخلاق العرفانية ودلالاتها التربوية للوصول إلى الكمال البشري المنشود منها، ونتيجتها هي إزالة الجهل العلمي والجهالة العملية من المجتمع، وهذان الهدفان مدرجان في نص زيارة الأربعين؛ فسبب وحشية أعداء النبوة كان حب الدنيا والافتتان بزخرفها (جوادي آملي، ٢٠٢١م). إن التوصل إلى هذا الفكر ممكن في ظل التأمل والتعقل، وسينتج عنه نوع من "الوعي الذاتي الداخلي-التحليلي" للزائر. تُعدّ مسيرة الأربعين من النجف إلى كربلاء واحدة من أهم الفرص للتأمل والتسامي الروحي؛ وهو مسار لا يوفر فقط أرضية لتزكية الروح من الشوائب، بل يتيح أيضًا فرصة للمناجاة مع الله، والتوبة عن الأخطاء، والعزم على إصلاح الأفكار والسلوكيات الفردية. توفر هذه الرحلة الروحية أرضية لتطهير الروح والعقل والجسد واستبدال الطهر بالشوائب الداخلية (تاجبخش، ٢٠٢٠م).

٢. تقوية الإرادة والعزيمة الراسخة (Strengthening Willpower and Firm Determination):

الإرادة هي أحد أهم المكونات الروحية والتسامي الروحي في مسار مسيرة الأربعين، والتي تتعزز من خلال قطع الكيلومترات سيرًا على الأقدام وتحمل المشقات الجسدية والروحية. إن زوار الأربعين، من خلال تجاوز صعوبات الطريق، لا يختبرون عزيمتهم وإرادتهم عمليًا فحسب، بل يحققون نوعًا من "التسامي الذاتي والترقي الروحي". إن تحمل صعوبات الطريق، والمثابرة، والمجاهدة في سبيل الهدف الروحي، يساعد الزائر على إيجاد معنى شخصي أعمق لحياته. تتوافق هذه التجربة مع مفهوم "تقديم المعنى الشخصي" (Personal Meaning) في النظريات المتمحورة حول الروحانية. ووفقًا لكينغ، فإن إيجاد المعنى في التجارب الصعبة يلعب دورًا رئيسيًا في النمو الروحي للأفراد (King, 2008).

في التعاليم الإسلامية، يعني التسامي الروحي تفعيل الإمكانات الإلهية للإنسان والوصول إلى الكمال والخلاص. يتطلب هذا المسار الصبر، والمثابرة، والجهد الداخلي؛ فكما يرى القرآن الكريم، الصبر والاستقامة شرط للوصول إلى القمم الروحية والتسامي الروحي. يجاهد زائر الأربعين في سبيل الله، ويتجاوز حدود الراحة، ويحقق مراتب أعلى من الروحانية والتسامي الذاتي من خلال تجربة الألم المقدس (أبيار وطباطبائي، ٢٠٢٣م). يقول القرآن الكريم في الآية: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت/ ٦٩) إن السعي والمجاهدة في سبيل الله هي مقدمة للنمو والهداية. كما يحقق زوار الأربعين، من خلال المجاهدة والصبر في هذا المسار، ومن خلال تجربة الألم والمشقة، بما في ذلك مواجهة الصعوبات الجسدية،

وتحمل الإرهاق، والتخلي عن وسائل الراحة في الحياة العادية، وتجاوز القيود المادية، والتقرب الروحي إلى الحضرة القدسية (فتحيان ونوروزي، ٢٠٢٢م)، تجربة عميقة من التسامي الروحي يمكن تسميتها "الوعي الإرادي-الروحي" بمعنى الثبات على الهدف الروحي والالتزام العملي بالقيم الدينية.

٣. التمسك بالمعتقدات الدينية (Reliance on Religious Beliefs):

زيارة الأربعين، التي وُصفت في روايات المعصومين ﷺ بفضيلة تعادل مائة حجة مع النبي ﷺ (كامل الزيارات، ١٦٢)؛ هي رمز بارز لـ "التوسل الفاعل" في الفكر الشيعي. يؤسس القرآن الكريم لهذا النهج كجسر بين العبد والحقيقة الإلهية، من خلال أمره:﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ (المائدة/ ٣٥).في هذا النموذج، تُشكّل عناصر مثل التوكل، والاعتماد على الإرادة الإلهية إلى جانب العمل، والحوار الوجودي مع المعبود، والزيارة كتجلٍّ عيني للارتباط بأولياء الله، آليات التسامي الروحي. يدخل الزائر، بقطعه مسير كربلاء وتكرار مناسك زيارة الأربعين، في عملية ثلاثية الأبعاد: الاستسلام القلبي (قبول ولاية أهل البيت)، والتطهير الوجودي (تحمل المشقات الجسدية كعبادة)، وإعادة تشكيل الهوية (إعادة تعريف الذات في ضوء مُثُل عاشوراء). هذا السلوك الجماعي، بالاعتماد على تعاليم مثل "التوفيق" و"البركة" في الخطاب الشيعي، يحرر الفرد من سجن الأنا، ويغمُره في شبكة من المعاني الميتافيزيقية، والنتيجة النهائية هي إزهار المواهب الروحية في ضوء الاتصال بالمصادر القدسية (برنامج، ٢٠٢٤م)، والتي يمكن تفسيرها على أنها "وعي دعائي" بمعنى تجربة الذات في ضوء المناسك العبادية مثل الدعاء والزيارة. في تفسير آية "وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ" في تفسير مجمع البيان لفضل بن حسن الطبرسي، يُذكر أن الله تعالى يأمر المؤمنين بأن يطلبوا الوسيلة التي تقربهم إليه، وهذه الوسيلة تعني في الغالب الأعمال والطاعات

التي تُرضي الله وتقرّب العبد من بارئه. وقد ذكر كبار المفسرين مثل الحسن، مجاهد، عطاء، والصدّي أن المقصود بالوسيلة هي الطاعات والعبادات التي تقرب الإنسان إلى الله. كما ورد في حديث عن النبي ﷺ: "اسألوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا ينالها إلا عبد واحد، وأرجو أن أكون ذلك العبد". وأشار العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان إلى أن الوسيلة هي الطريق إلى التقرب من الله، وأن الطاعة والالتزام بأوامره من أبرز مظاهرها.كما اعتبر بعض الأئمة أن الإمام علي ﷺ هو "وسيلة الله"، بمعنى أن طاعته والاقتداء به طريق للتقرب إلى الله. وبالتالي، فإن "ابتغاء إليه الوسيلة" يعني طلب كل ما يُقرّب العبد إلى الله من إيمان، وطاعة، وجهاد، وعبادات، واتباع الأئمة المعصومين (الطبرسي، ١٤٠٨ق، ج٣، ص ٣٣٧).

تشير الآية ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ إلى البحث عن الوسائل والأدوات التي تقرب الإنسان إلى الله ﷻ. ووفقًا لتفسير مجمع البيان، فإن هذه الوسيلة تشمل الطاعات والعبادات والطاعة واتباع الهداة الإلهيين، مما يؤدي إلى التقرب من الله والنمو الروحي. في سياق مسيرة الأربعين، يكون الزائرون من خلال أداء العبادات، وتحمل المشقات، والحضور في جماعة المؤمنين، واتباع تعاليم الإمام الحسين ﷺ، في حالة "ابتغاء إليه الوسيلة"؛ أي يسعون إلى وسيلة تقربهم إلى الله وتحقق لهم تحقيق الذات الروحي. لذا، فإن هذه الآية وتفسيرها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بموضوع المقال، حيث:

- تعتبر مسيرة الأربعين وسيلة لتزكية النفس والنمو الروحي.
- يسعى الزائرون عبر السير في الطريق، وأداء العبادات، وتحمل المشقات، إلى وسيلة للارتقاء بأنفسهم وتحقيق الكمال الإنساني.
- عملية تحقيق الذات في هذا المسار تمثل تجسيدًا عمليًا لـ "ابتغاء إليه الوسيلة" التي أمر بها القرآن الكريم.

هذا الارتباط يوضح أن مسيرة الأربعين ليست مجرد حركة جسدية، بل هي عملية روحية وتربوية تمهد لتحقيق الذات والتقرب إلى الله (برنامج، ٢٠٢٤م).

٤. التواصل بين الأفراد ذو المعنى (Meaningful Interpersonal Communication):

إن تفاعلات الزوار في مسير كربلاء هي أرضية لـ "الحكمة العملية للتواصلات العرفانية"، حيث تسهل الأفعال الجماعية والعلاقات الإنسانية عملية التسامي الذاتي والتطور الروحي. فكما قال الإمام علي ﷺ: "مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهَوَاتُهُ" (نهج البلاغة/ حكمة ٤٤٩)، وهذا يعني أن ارتقاء المكانة الإنسانية للفرد يجعل الميول المادية تحت سيطرة القيم الإلهية. تتجلى هذه التعاليم في مسيرة الأربعين على شكل تناغم جماعي، حيث يتجاوز الزوار حدود الفردية من خلال المشاركة في مناسك مثل توفير الخدمات (المواكب)، وخدمة الآخرين، والدعوات الجماعية، ويستبدلون التبادل المادي بالمشاركة الروحية.

تظهر الأبحاث أن "التعاطف الوجداني" في هذا المسار، من خلال خلق شعور بالانتماء العابر للمكان، يرتقي بالعلاقات الإنسانية من مستوى التفاعلات الأداتية إلى العلاقات الوجودية (أبيار وطباطبائي، ٢٠٢٣م). تعتمد هذه العملية على السلوك العرفاني الجماعي، حيث يعيد الزوار، مستلهمين من المنظومة الفكرية لأهل البيت ﷺ الارتباط بين العقلانية الأخلاقية والتجربة الدينية، تعريف هويتهم في ضوء قيم عاشوراء (درودیان، ٢٠١٨م). تؤكد التعاليم الدينية على وحدة الظاهر والباطن، وهو مفهوم يتجلى في تفاعلات زوار الأربعين على شكل تناغم بين الطقوس الظاهرية (مثل المشي) والتجليات الباطنية (مثل الصلوات الجماعية). يوضح هذا النمط من التواصل، بالاعتماد على الحكمة العملية المستنبطة من سيرة

أهل البيت عليهم السلام، كيف يمكن للعلاقات الإنسانية القائمة على الإيثار أن تعزز "الوعي الروحي-العرفاني". في هذا المسار، لا يُفسر خدمة الآخرين كفعل اجتماعي، بل كعبادة وجودية ترشد الزائر إلى مراتب عالية من معرفة الذات. يعكس هذا النهج العرفان الشيعي الملتزم، حيث تُعد العلاقات الإنسانية محلاً لتجلي الحب الإلهي والقرب الوجودي (رودگر، ٢٠١٨م).

٥. التقييم الذاتي وتزكية النفس (Self-evaluation and Self-purification):

المراقبة ومحاسبة النفس والسعي لتزكية الأخلاق والسلوك هي من أهم التوصيات القرآنية-الروائية. يؤكد الحديث الشريف "حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا" (كنز العمال، حديث ٧٠٨٧) وكذلك الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ (المائدة/ ١٠٥) على أهمية تهذيب النفس. توفر مسيرة الأربعين، كأرضية متعددة الأبعاد، فرصة استثنائية لـ "التقييم الوجودي للذات". في هذا المسار، يخلق تزامن المشقة الجسدية الناتجة عن المسير الطويل مع الأجواء العرفانية للمناسبة، بيئة لـ "المراقبة السائلة" والنظرة النقدية للنفس (تاج‌بخش، ٢٠٢٠م).

يُعيد المشاركون، من خلال محاسبة النفس والمراقبة الجماعية في مواجهة أنماط السلوك المتنوعة للزوار، قراءة هويتهم الأخلاقية. إن طول مسير كربلاء وتكرار الحركات الجسدية، يخلق حالة شبيهة بـ "المراقبة الديناميكية"، حيث يصبح الإرهاق الجسدي حافزًا لكسر الحجب النفسية. هذه الخاصية ترتقي بالأربعين من مجرد رحلة دينية إلى مختبر حي للتسامي الوجودي (درودیان، ٢٠١٨م). إن الاتصال المستمر بمعاناة الآخرين على طول الطريق، مثل مساعدة الزوار المتضررين أو تقاسم الموارد المحدودة، هو اختبار عملي لقياس مدى التخلي عن "الأنانية" وترسيخ "الإيثار

الأخلاقي". هذه التفاعلات تنقل "الوعي الرقابي" المذكور في الآيات والروايات من نطاق النظر إلى مجال العمل.

ثانيا / المكونات الخارجية (الاجتماعية-التواصلية) External (Social-Communicative) Aspects:

تُعدّ مسيرة الأربعين، باعتبارها أحد أكبر التجمعات الدينية والاجتماعية في العالم، مثالًا فريدًا للتفاعلات الجماعية والظواهر الاجتماعية التي يمكن ملاحظة أبعادها المختلفة وتحليلها بوضوح. يوفر هذا الحدث، بوجود ملايين الزوار من مختلف الأعراق والثقافات والجنسيات، أرضية فريدة لظهور وتعزيز مكونات مثل المرونة الاجتماعية، والدعم الاجتماعي، والتعاون التلقائي، والانسجام والتضامن الاجتماعي، والتفاهم المتبادل والتواصل بين الثقافات، وترويج القيم الأخلاقية والروحية الجماعية (عربي، ٢٠١٩م). لا يساعد تحليل هذه المكونات على فهم أعمق للديناميكيات الاجتماعية والثقافية في المجتمعات الدينية فحسب، بل يمكن أن يكون نموذجًا لتعزيز رأس المال الاجتماعي والانسجام الجماعي في المجتمعات المختلفة (Putnam, 2000; Durkheim, 1912م).

زيارة الأربعين، وفقًا للتحليلات المقدمة في كتاب "زيارة الأربعين..دلالات وآفاق" للمؤلف محمد عبد الرضا الساعدي، تتجاوز كونها مناسبة دينية بحتة، إذ تُعتبر ظاهرة اجتماعية وتربوية واسعة النطاق تلعب دورًا مهمًا في إعادة بناء الهوية الفردية والاجتماعية. تخلق هذه الزيارة فضاءً روحيًا ومعنويًا يعزز القيم الأخلاقية مثل الإيثار، والتعاطف، والتعاون، والتضامن الاجتماعي، كما تجمع ملايين الزائرين من مذاهب وقوميات مختلفة، مما يوفر فرصة فريدة لتجربة التعايش السلمي والتفاعل

الثقافي. بالإضافة إلى ذلك، تسهم المشاركة الجماعية في هذه الحركة الروحية في تنمية روح المسؤولية، والتضحية، ونمو الشخصية الفردية. من هذا المنظور، تُعد زيارة الأربعين تجربة روحية واجتماعية تعزز الهوية الدينية وتعيد تعريف مكانة الفرد في المجتمع، وتسهم في تشكيل شخصية واعية وملتزمة. ولذلك، تعمل هذه الزيارة كـ"مدرسة تربوية" تشكل بيئة مناسبة لعملية تحقيق الذات الروحي والاجتماعي، ومسارًا للنمو والارتقاء الروحي للإنسان (الساعدى، ٢٠١٥م).

١. المرونة الاجتماعية (Social Resilience):

تشير المرونة الاجتماعية إلى قدرة المجتمع على تحمل الضغوط والأزمات والعودة إلى الوضع المرغوب بعد مواجهة التحديات. في مسيرة الأربعين، يواجه الزوار العديد من التحديات الجسدية والنفسية والاجتماعية التي تتطلب التكيف والتعاون الجماعي. يعزز هذا الحدث، من خلال إنشاء شبكات الدعم وتعزيز الروح الجماعية، المرونة الاجتماعية عمليًا في المجتمع. تشير الأبحاث إلى أن التجربة المشتركة للصعوبات والتعاطف في هذا المسار تؤدي إلى زيادة القدرات الجماعية وتقليل نقاط الضعف الاجتماعية (عربي،٢٠١٩م؛ أبيار، ٢٠٢٣م).

في التعاليم الإسلامية، تُطرح الاهتمام بالابتلاءات وتحمل المصائب كاختبار إلهي وسبيل لتعزيز الإيمان والروح الجماعية. يؤكد الله تعالى في آيات متعددة، منها قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ (آل عمران/ ٢٠٠)؛ وقوله: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ (الأعراف/ ١٢٨)، على "الصبر والاستعانة بالله"، و"الرضا والتسليم"، و"التعاون في أعمال الخير"، مشيرًا إلى تعزيز المرونة الاجتماعية والروحية في المجتمع (نور الهدى، ٢٠٢١م). في التعاليم الدينية، لا يعتبر تحمل

الصعوبات والتعاطف في مواجهة المصائب فضيلة فردية فحسب، بل عاملًا لتعزيز الوحدة والانسجام الاجتماعي. وتُمهد زيارة الأربعين، من خلال التركيز على التعاطف والتعاون والدعم الجماعي، لتعزيز روح الصبر والمقاومة في مواجهة الصعاب. تُعلّم هذه التعاليم، في نص زيارة الأربعين، الزوار، من خلال تذكر مظلومية ومقاومة الإمام الحسين عليه السلام ورفاقه، كيفية التغلب على الصعوبات بالتعاطف والتعاون، والتحول إلى مجتمع متماسك ومرن (أبيار وطباطبائي، ٢٠٢٣م). يمكن تسمية هذه العملية بـ "الوعي الاجتماعي-العرفاني". يشير هذا النوع من الوعي إلى قدرة الفرد على فهم وإدارة والتكيف مع التحديات والضغوط الاجتماعية، ويتعزز من خلال التفاعل مع الآخرين، والتعاطف، والمشاركة الجماعية، وتحمل الظروف الصعبة. توفر مسيرة الأربعين، من خلال توفير الظروف لممارسة الصبر والتعاون والإيثار، أرضية لنمو وتعزيز المرونة الاجتماعية والوعي الاجتماعي(https://www.migna.ir/news/62714).

٢. الدعم الاجتماعي (Social Support):

يشير الدعم الاجتماعي إلى مجموعة التفاعلات والعلاقات التي يتلقى فيها الأفراد دعمًا عاطفيًا وماديًا من بعضهم البعض. في مسيرة الأربعين، يتجلى الدعم الاجتماعي بأشكال مختلفة مثل تقديم الطعام، والإيواء، والعلاج، والدعم العاطفي. لا تساعد هذه الشبكات الداعمة على تقليل التوتر وزيادة الشعور بالأمان لدى الزوار فحسب، بل تؤدي أيضًا إلى تعزيز رأس المال الاجتماعي والثقة العامة. لقد أظهرت الدراسات أن وجود مثل هذه الشبكات في الأحداث الجماعية له تأثير إيجابي على الصحة النفسية والرضا الاجتماعي (Putnam, 2000). في تعاليم الإسلام، هناك تأكيد كبير على التعاطف، والمواساة، وتقديم المساعدة للآخرين. يدعو القرآن

الكريم المؤمنين إلى التعاون في أعمال الخير والامتناع عن التعاون في الإثم والعدوان: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة/ ٢). وتؤكد روايات الأئمة الأطهار عليهم السلام أيضًا على أهمية تلبية احتياجات الآخرين والإيثار في سبيل الله. قال أمير المؤمنين عليه السلام: "إِيَّاكُمْ وَالنِّفَاقَ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ وَالتَّفَرُّقَ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى" (مجلسي، ج٤٢، ص٢٤٨). تُجسّد زيارة الأربعين، كرمز حي لنمط الحياة الإسلامي، هذه التعاليم عمليًا، وتوفر، من خلال إنشاء شبكات دعم واسعة، بيئة آمنة قائمة على الثقة والتعاطف للزوار. في هذا الحدث، تظهر قيم مثل المواساة، والإنفاق، وتقديم المساعدة كضرورات سلوكية لكل فرد مؤمن، وتساهم في تعزيز الروح الجماعية والشعور بالمسؤولية الاجتماعية. لا تؤدي هذه السلوكيات إلى تقليل المشاكل وزيادة الشعور بالأمان لدى الزوار فحسب، بل تعمل كنموذج لتحقيق الحياة الطيبة الدينية في المجتمع (جوادي آملي، ٢٠٢١م).

في ثقافة الأربعين، الدعم الاجتماعي ليس سلوكًا عشوائيًا، بل ينبع من التعاليم الإسلامية الأصيلة التي تؤكد على المسؤولية الجماعية، والإيثار، والتضحية. يوفر هذا الحدث، من خلال تعزيز روح الخدمة والإنفاق، أرضية لتحقيق قيم مثل التعاطف، والمواساة، والعدالة الاجتماعية. في هذا المسار، يحقق الزوار، من خلال التجربة المباشرة للدعم والمرافقة، وعيًا دينيًا وشعورًا بالانتماء إلى الأمة الإسلامية الواحدة (إمامي وغياثي، ٢٠١٧م). هذا النموذج من الدعم، لا يساهم في تعزيز رأس المال الاجتماعي فحسب، بل يعمل كأحد مكونات التسامي الروحي، ويوفر أرضية لتحقيق الأهداف الإسلامية والنمو الأخلاقي للمجتمع، والذي يمكن تصنيفه ضمن "الوعي في العلاقات والتفاعلات الاجتماعية". يشير هذا النوع من الوعي إلى فهم الفرد لدوره في المجتمع، وتفاعله مع الآخرين، وقبوله للتوقعات

والمعايير الاجتماعية. عادةً ما يقيم الأفراد المتسامون روحيًا علاقات عميقة مع الآخرين، ولديهم تعاطف ومشاركة اجتماعية، ويسعون لتحسين وضع المجتمع، وكل هذا جزء من الوعي الاجتماعي (https://blog.faradars.org).

٣. التعاون التلقائي (Voluntary Cooperation)

المواكب الحسينية ليست فقط لخدمة الزائرين، بل هي مدرسة لتربية القيم النبيلة مثل التضحية والمسؤولية، حيث يشارك الجميع في بناء مجتمع متكافل (الساعدي، ٢٠١٥م). أثناء مسيرة الأربعين، يُعدّ التعاون التلقائي بين أعضاء المواكب والهيئات العزائية أحد أبرز مظاهر التسامي الروحي الاجتماعي. في هذا الهيكل، يتم تقسيم العمل الاجتماعي بشكل تطوعي ومنسق تمامًا؛ بحيث يتولى كل فرد، بغض النظر عن العمر أو الجنس أو المكانة الاجتماعية، مسؤولية محددة، ويؤدي واجبه بأفضل شكل ممكن بحماس ودوافع روحية. فمن الإدارة والتخطيط إلى الضيافة، والتموين، والخدمات الطبية، والدعم، وحتى المهام الأبسط للأطفال، يشارك جميع الأفراد بفعالية وتأثير في تسيير الأمور. وتُمهد هذه المشاركة الشاملة لنمو الفرد، وتنمية المسؤولية، وقبول المعايير لدى الأعضاء (عربي، ٢٠١٩م). والنقطة الجديرة بالذكر هي أن هذا التعاون التلقائي لا ينشأ بأمر أو إلزام خارجي، بل يتشكل بناءً على دوافع داخلية، وحب الإمام الحسين عليه السلام، وروح الإيثار والخدمة (طالبي، ٢٠٢١م). وتلعب النساء أيضًا دورًا مهمًا في تعزيز الروح الجماعية وتشجيع الرجال من خلال المشاركة في أقسام التموين، وجمع التبرعات، وإدارة المراسم. هذا النموذج من تقسيم العمل والتعاون، بالإضافة إلى زيادة الكفاءة والنظام في تقديم الخدمات لملايين الزوار، يؤدي إلى ترسيخ قيم مثل التعاطف، والمشاركة الاجتماعية، والمسؤولية في الأجيال المختلفة، وخاصة الأطفال والمراهقين (الساعدي، ٢٠١٥م).

في الختام، لا يلبي هذا التعاون التطوعي والشعبي احتياجات الزوار بأفضل شكل فحسب، بل يُشكّل، كأرضية للتسامي الفردي والاجتماعي، رأس مال اجتماعيًا هائلاً خلال فترة الأربعين القصيرة، ويقدم نموذجًا ناجحًا للإدارة والتضامن الشعبي، والذي يمكن تسميته "الوعي المسؤول". يشير هذا النوع من الوعي إلى قدرة الفرد على فهم الأدوار، والواجبات، وتأثير سلوكه على الآخرين والمجتمع، والتفاعل الفعال مع الآخرين، والمشاركة النشطة في الأنشطة الجماعية. وكلما كان الفرد أكثر وعيًا بمشاعره واحتياجاته واحتياجات الآخرين، زادت قدرته على التعاون وتقديم المساعدة للآخرين، ويشعر بالمسؤولية تجاه عواقب أفعاله ويتصرف بمسؤولية تجاه الآخرين (https://www.roshdana.com/). تجمع الملايين من الزائرين من مختلف القوميات والمذاهب يعكس وحدة الأمة الإسلامية ويخلق فضاءً للتعاون والتعاطف، مما يسهم في تعزيز الروح الاجتماعية والتلاحم بين الأفراد (الساعدي، ٢٠١٥م).

٤. الانسجام والتضامن الاجتماعي (Social Cohesion):

أحد أبرز وظائف مسيرة الأربعين هو تعزيز الوحدة والتضامن بين الزوار والمسلمين في جميع أنحاء العالم. هذه الوحدة لا تقتصر على الشيعة فحسب، بل يشارك فيها أهل السنة وحتى أتباع الديانات الأخرى، ويقدمون، بالتعاطف والتعاون، مثالاً فريدًا للانسجام الإنساني والديني. في هذه المراسم، يجتمع ملايين الأشخاص من جنسيات وثقافات ومذاهب مختلفة، بغض النظر عن أي فروق أو حدود، وفي جو مليء بالحب، والإيثار، والخدمة، يسعون لتحقيق هدف مشترك وهو إحياء نهضة الإمام الحسين عليه السلام (الساعدى، ٢٠١٥م). في مسير الأربعين، يضحي الخدم والزوار بتضحيات مثالية من مالهم، ووقتهم، وراحتهم لخدمة الآخرين، وقد

أثارت روح الإيثار والإخلاص هذه إعجاب العالم وذهوله. لا يعزز هذا الحدث العظيم الوحدة بين الشيعة فحسب، بل يمهد الطريق للتعاطف بين المسلمين وحتى غير المسلمين؛ بحيث تتجاوز المحبة وتقديم الخدمات في المواكب ومحطات الضيافة الحدود الدينية والعرقية وتقرب الجميع من بعضهم البعض (عربي، ٢٠١٩م).

يعكس هذا التضامن والوحدة تعاليم القرآن الكريم؛ ففي الآية الشريفة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ (آل عمران/ ٦٤) نجد دعوة إلى التجمع حول المشتركات والابتعاد عن الفرقة والتعالي. تُعدّ مسيرة الأربعين مثالاً حيًا لهذه الرسالة الإلهية، حيث يرسل ملايين الأشخاص، بشعارات وسلوكيات موحدة، رسالة التعايش السلمي والاتحاد إلى العالم. تُقدم هذه المراسم نموذجًا فريدًا للتعاطف والأخوة الإنسانية لا مثيل له في أي طقس أو دين آخر، ويمكن أن يكون مصدر إلهام للمجتمعات لتحقيق السلام، والتعايش، والتقارب (حسینی‌الطهرانی، ٢٠١٦م).

يمكن تسمية الانسجام والتضامن الاجتماعي بـ "الوعي الشبكي"، لأن هذا النوع من الوعي يؤكد على فهم مكانة الفرد في شبكة العلاقات الاجتماعية ودوره في تعزيز الروابط والتعاون الجماعي. الفرد ذو الوعي الشبكي يدرك جيدًا أهمية الانسجام والتضامن في استدامة وصحة الشبكات الاجتماعية، ويسعى للحفاظ على ذلك (https://faracoach.com/self-). يشكل الانسجام الاجتماعي، من خلال خلق الروابط، والثقة، والشعور بالقدر المشترك بين الأفراد، شبكة من العلاقات والتفاعلات التي توعي الفرد بمكانته ودوره في هذه الشبكة. بعبارة أخرى، كلما زاد الانسجام والتضامن الاجتماعي، زاد فهم الفرد للعلاقات ومكانته في الشبكة الاجتماعية، وتعزز لديه الوعي الشبكي (طالبی، ٢٠٢١م).

٥. التفاهم المتبادل والتواصل بين الثقافات (Intercultural Understanding):

توفر مسيرة الأربعين، بحضور ملايين الزوار من مختلف الثقافات، والجنسيات، والمذاهب، أرضية فريدة للتفاعل وتعزيز التفاهم المتبادل بين الثقافات. يُعدّ هذا الحدث العظيم، أبعد من كونه طقسًا دينيًا، مساحة بين ثقافية تُختبر فيها احترام الاختلافات، ومعرفة وقبول عادات وتقاليد الآخرين، وتعزيز السلام الاجتماعي عمليًا. يتعرف الزوار على طول المسار على ثقافات وتقاليد متنوعة، ومن خلال التواصل وجهًا لوجه، يعززون مهاراتهم التواصلية والتسامح الاجتماعي (أحمدي، ٢٠١٨م).

تُمهد هذه التجربة المشتركة، إلى جانب تقليل التحيزات والتعصبات العرق ية والدينية، للتعايش السلمي والتعاطف بين الشعوب. تُظهر الأبحاث أن مثل هذه التفاعلات تزيد من رأس المال الثقافي والاجتماعي للمجتمع وتساهم في تشكيل هوية جماعية مبنية على الأخوة الإيمانية؛ هوية تتلاشى فيها العرق، واللغة، والجنسية، وتتشكل العلاقات الاجتماعية فيها على أساس المحبة، والاحترام، والهدف الروحي المشترك (شريفي، ٢٠٢٢م).

كما أن استمرار التواصلات التي تتشكل في الأربعين، سواء من خلال الزيارات المتبادلة أو في الفضاء الافتراضي، يؤدي إلى تعميق العلاقات الثقافية والإنسانية بين الشعوب، ويحول الأربعين إلى مصدر غني للقوة الناعمة ورابط بين الأمم (غفاري، ٢٠١٨م). بشكل عام، تُقدم مسيرة الأربعين نموذجًا ناجحًا للتفاعل بين الثقافات وتعزيز القيم الإنسانية والأخلاقية في العالم المعاصر، والتي يمكن تسميتها بـ "الوعي الثقافي-الاجتماعي" بمعنى معرفة واحترام الاختلافات الثقافية، وفهم قيم ومعتقدات الآخرين، والقدرة على التواصل الفعال مع أفراد من ثقافات مختلفة.

يساعد هذا الوعي الفرد على أن يكون حساسًا ومهارًا في التفاعلات الاجتماعية متعددة الثقافات، ويمنع سوء الفهم. يمكن اعتبار زيارة الأربعين مدرسة تربوية حقيقية، حيث يتعلم الزائرون القيم الأخلاقية والاجتماعية من خلال التجربة العملية والتفاعل الجماعي(الساعدي، ٢٠١٥م).

٦. ترويج القيم الأخلاقية والروحية الجماعية (Collective Moral Advocacy):

تُعدّ مسيرة الأربعين مثالًا بارزًا لترويج القيم الأخلاقية والروحية الجماعية التي تُجسد تعاليم مدرسة الإمام الحسين ﷺ عمليًا. لا تذكر هذه المراسم العظيمة مقاومة الظلم، والتحرر، ودعم المظلومين فحسب، بل توفر أرضية لإحياء فضائل مثل الصبر، والإيثار، والتعاطف، وطلب العزة، والكرامة الإنسانية. يمارس المشاركون عمليًا الصبر والمثابرة من خلال تحمل مشقات المسير والمشاركة في حركة جماعية، ويعززون روح التضحية والمسؤولية لديهم (طالبى، ٢٠٢١م).

في هذا التجمع المليوني، تتلاشى الحدود العرقية، والمذهبية، واللغوية، ويتحقق الجميع، بالتركيز على محبة الإمام الحسين ﷺ وأهدافه السامية، التعاطف والاتحاد. لا يؤدي هذا التقارب إلى الارتقاء بالأخلاق الفردية والاجتماعية فحسب، بل يرسخ قيمًا مثل التسامح، واللطف، وتقديم الخدمات، واحترام الآخرين في السلوك الجماعي. ويحافظ الزوار، بعد عودتهم، على هذه الإنجازات الأخلاقية والروحية في حياتهم اليومية ويعملون على ترويجها في المجتمع (مجموعة من الكتاب، ٢٠١٥م).

كتاب "علم الاجتماع لظاهرة الأربعين" للمؤلف شمس الله مرجي، من خلال تحليله الاجتماعي لزيارة الأربعين، يبيّن أن هذه الظاهرة تتجاوز كونها مجرد طقس

ديني لتصبح أسلوب حياة روحي واجتماعي يعزز في الزائرين قيمًا مثل الإيثار، والتعاطف، والتواضع، والتقوى. هذه التجربة الجماعية والروحية تمثل أرضية لإعادة تعريف الهوية الفردية والاجتماعية للزائرين، ويمكن اعتبارها بيئة فعالة لعملية تحقيق الذات الروحي والاجتماعي خلال مسيرة الأربعين. لذلك، فإن المشي في الأربعين ليس مجرد حركة جسدية، بل هو عملية تربوية وتحولية تسهم في نمو الإنسان الروحي وارتقائه، وتتوافق مع تحقيق الأهداف السامية للزيارة (مريجى، ٢٠٢٤م).

وهكذا، تُعدّ مسيرة الأربعين، بالإضافة إلى إحياء ذكرى ورسالة عاشوراء، مدرسة عملية، وتمهيدًا للنمو الأخلاقي والروحي، وتعزيز الهوية الدينية، وترويج القيم الإنسانية والإلهية على المستويين الفردي والجماعي، والتي يمكن تسميتها بـ "الوعي الأخلاقي-الروحي" أو "الوعي الروحي-الاجتماعي". يشمل هذا النوع من الوعي معرفة القيم الأخلاقية والروحية والالتزام بها في السلوك الفردي والجماعي، ويجعل الفرد واعيًا بتأثير أفعاله على المجتمع ومسؤوليته في ترويج هذه القيم.

المستوى	المكون	نوع الوعي الذاتي	الوصف النظري	التجلّي العملي في الأربعين
داخلي (فردي وروحي)	تأملات عميقة وتفكير نقدي Deep Reflection) and Critical (Thinking	وعي ذاتي داخلي-تحليلي	قدرة الفرد على التفكير بعمق في معتقداته وقيمه وسلوكياته، ونقدها ومراجعتها بهدف النمو والتطور الفردي.	الزائر في مسار الأربعين يعيد النظر في معتقداته ودوافعه من خلال التأمل في أهداف وفلسفة هذه الحركة
	تقوية الإرادة والعزيمة الراسخة Strengthening) Willpower and Firm (Determination	وعي ذاتي إرادي-روحي	معرفة القدرات الداخلية وتعزيز الإرادة للتغلب على العقبات والمثابرة في مسار الأهداف الروحية.	يقطع الزائر مسار المشي الطويل بإرادة وعزيمة راسخة على الرغم من الصعوبات والإرهاق.
	التمسك بالمعتقدات الدينية Reliance) on Religious (Beliefs	وعي ذاتي دعائي	الاعتماد على المعتقدات الدينية والقيم الإلهية لتوجيه السلوك واتخاذ القرارات في مختلف ظروف الحياة.	يتحمل الزائر الصعاب ويعزز دافعه الروحي بالتوكل والتوسل بأهل البيت عليهم السلام.
	تواصلات بين الأفراد ذات معنى Meaningful) Interpersonal (Communication	وعي ذاتي روحي-عرفاني	الوعي بأهمية وجودة العلاقات الإنسانية والسعي لإقامة علاقات عميقة وذات معنى مع الآخرين.	يعزز الزوار روابطهم الإنسانية من خلال التعاطف والمساعدة المتبادلة والحوارات الصادقة على طول المسار.

المستوى	المكون	نوع الوعي الذاتي	الوصف النظري	التجلّي العملي في الأربعين
	التقييم الذاتي وتزكية النفس (Self-evaluation and Self-purification)	وعي ذاتي رقابي	المراجعة المستمرة للسلوك والدوافع، وتحديد نقاط الضعف، والسعي لتصحيح وتطوير النفس.	يقوم الزوار، على طول المسار وخلال الزيارة، بمحاسبة النفس وتزكية أخلاقهم وسلوكهم.
بين الأفراد (اجتماعي وتواصلي)	المرونة الاجتماعية (Social Resilience)	وعي ذاتي اجتماعي - عرفاني	قدرة الفرد على التكيف ومواجهة التحديات والضغوط الاجتماعية من خلال الدعم المتبادل والمشاركة الجماعية.	يعزز الزوار مرونتهم الاجتماعية في ظروف المسار الصعبة من خلال الصبر والمساعدة المتبادلة وتحمل الضغوط الجماعية
	الدعم الاجتماعي (Social Support)	وعي في العلاقات والتفاعلات الاجتماعية	الوعي بدور الدعم والمساندة المتبادلة في المجتمع وأهميته في تعزيز الصحة النفسية والاجتماعية.	ينشئ الزوار شبكة دعم قوية من خلال تقاسم الموارد، والتعاطف، وتقديم المساعدة لبعضهم البعض
	التعاون التلقائي (Voluntary Cooperation)	وعي ذاتي مسؤول	فهم أهمية التعاون التطوعي والمشاركة الفعالة في الأنشطة الجماعية لتحقيق الأهداف المشتركة.	يعزز الزوار روح التعاون والمساعدة المتبادلة من خلال التعاون التطوعي في الخدمات والأمور المتعلقة بالراحة.
	الانسجام والتضامن الاجتماعي (Social Cohesion)	وعي ذاتي شبكي - اجتماعي	الوعي بدور الفرد في شبكة العلاقات الاجتماعية وأهمية الحفاظ على الروابط والتضامن لاستدامة المجتمع.	يختبر الزوار الانسجام والتضامن الاجتماعي في مجتمع الأربعين من خلال تحقيق الوحدة، والتعاطف، والمشاركة.

المستوى	المكون	نوع الوعي الذاتي	الوصف النظري	التجلّي العملي في الأربعين
	التفاهم المتبادل والتواصل بين الثقافات Intercultural) (Understanding	وعي ذاتي ثقافي - اجتماعي	القدرة على معرفة، واحترام، والتفاعل الفعال مع أفراد من ثقافات وجنسيات مختلفة، وقبول الاختلافات.	يعزز الزوار مهاراتهم بين الثقافات والتسامح الاجتماعي من خلال التفاعل مع الزوار من الدول الأخرى.
	ترويج القيم الأخلاقية والروحية الجماعية Collective Moral) (Advocacy	وعي ذاتي روحي - اجتماعي	معرفة القيم الأخلاقية والروحية والالتزام بها في السلوك الفردي والجماعي، والسعي لترويجها في المجتمع.	يصبح الزوار، بسلوكياتهم الأخلاقية، وإيثارهم، ومراعاتهم للقيم الروحية، نموذجًا عمليًا لترويج هذه القيم في مجتمع الأربعين.

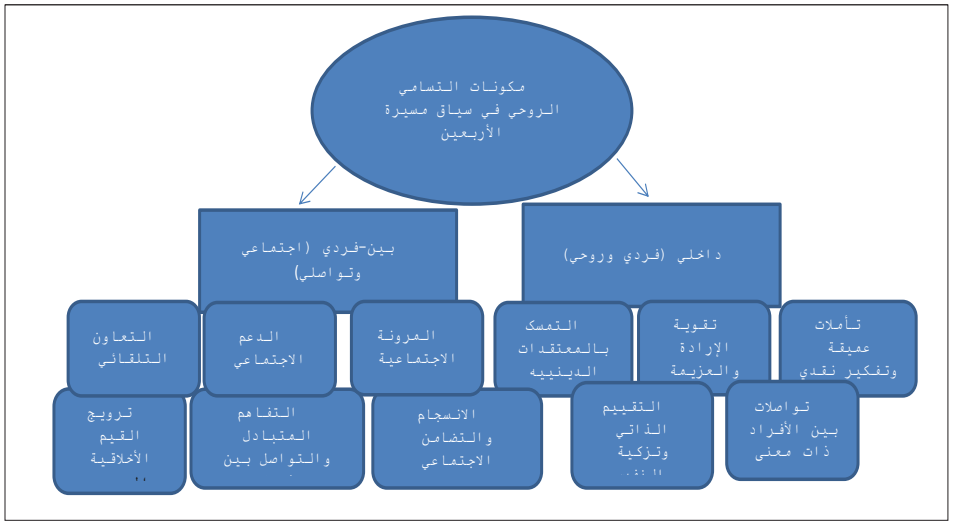

النتائج

إن ظاهرة مسيرة الأربعين العالمية الحديثة، تتجاوز كونها مجرد طقس ديني، فهي تحمل في طياتها قدرات ثقافية، اجتماعية، وسياسية متعددة. أحد أبرز قدراتها الفريدة في البعد الاجتماعي والثقافي يتمثل في عملية التسامي الروحي في مختلف الأبعاد الوجودية للإنسان. يوفر هذا الحدث، من خلال عناصره الرمزية، وأرضياته التفاعلية، وتجاربه العرفانية، ظروفًا لا مثيل لها لتفعيل وتعميق أنواع مختلفة من الوعي الذاتي؛ بدءًا من الوعي الذاتي التأملي والتحليلي وصولًا إلى الوعي الذاتي الاجتماعي، والثقافي، والروحي. بعبارة أخرى، يمكن اعتبار الأربعين بيئة يعيد فيها الفرد تعريف ذاته في ارتباطه بالمقدس، والمجتمع، والآخر.

على المستوى الفردي، تشير النتائج إلى أن الزوار، في مواجهة المحفزات الروحية، وصعوبة المسار، والتأملات الفردية، والعيش في أجواء الزيارة، يرتقون بقدراتهم على التفكير النقدي، وتزكية النفس، وتقوية الإرادة، وإعادة بناء معتقداتهم الأساسية. هذه العملية، التي يمكن اعتبارها نوعًا من "إعادة تعريف الهوية الشخصية الروحية"، تتوافق مع مناهج علم النفس الوجودي والعلاج الروحي. فمن خلال التأمل في ماهية، وأسباب، ومعنى حركته، ينتقل الزائر من مستوى الوعي اليومي إلى وعي ذاتي متعالٍ وإرادي؛ وهو نوع من الارتقاء يمكن تفسيره على أنه "الانتقال من الذات المشتتة إلى الذات المتكاملة الباحثة عن المعنى".

على المستوى التفاعلي والاجتماعي، تخلق مسيرة الأربعين بيئة تفاعلية ومتضامنة تُفعّل فيها رؤوس الأموال الاجتماعية والأخلاقية. يعيد الزوار، من خلال أدوارهم التطوعية، ومشاركتهم في الأنشطة المساعدة، والتفاعل بين الثقافات، تعريف مكانتهم في شبكة العلاقات الاجتماعية والثقافية. هذه العلاقات، في سياق الطقوس

الجماعية، تحمل وظائف **مرنة، وإصلاحية، وملهمة**، مما يؤدي إلى تشكيل نوع من "الوعي الأخلاقي-الاجتماعي الجماعي". كذلك، يوفر الحضور متعدد الثقافات للزوار من مختلف الأمم والثقافات الفرعية، فرصة لمواجهة الآخر وقبول التنوع، ويُمهد لتعزيز القدرة على التفاهم المتبادل، والتسامح الثقافي، والوحدة في التنوع.

بشكل عام، يمكن الاستنتاج أن مسيرة الأربعين، كتجربة روحية-اجتماعية عميقة، تمتلك قدرات فريدة لدفع عملية **التسامي الروحي للإنسان المعاصر**؛ وهي عملية لا يحقق فيها الفرد "ارتقاء وعيه الفردي ونموه الداخلي" فحسب، بل يقترب أيضًا من تحقيق "هوية روحية-اجتماعية ناضجة ومتماسكة" من خلال إدراك دوره في الهياكل الاجتماعية، والأخلاقية، والثقافية. يمكن أن تساهم هذه النتائج في تطوير نظريات متعددة التخصصات في مجالات علم النفس الروحي، وعلم اجتماع الدين، وأنثروبولوجيا الطقوس، والتربية الروحية.

المراجع

١. القرآن الكريم

٢. نهج البلاغة

٣. آبيار، زهرا؛ طباطبائي، سيد مصطفى (٢٠٢٣م)، "تحليل تجربة "المعاناة المؤمنة" في الزيارة النسوية: دراسة حالة زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين"، دراسات الثقافة والمجتمع الحوزوي، المجلد ٧، العدد ٢.

٤. ابن شعبة الحراني (١٤٠٤هـ ق)، "تحف العقول"، قم: جماعة المدرسين.

٥. أحمدي، علي (٢٠١٨م)، "الدلالات الاستراتيجية للتواصل بين الثقافات من أجل التقارب الإسلامي مع التركيز على مسيرة الأربعين"، رسالة الثقافة والتواصل، العدد ١، التسلسل ٥.

٦. إمامي، سيد مجيد؛ غياثي، هادي (٢٠١٧م)، "التقارب الحضاري في طريق الزيارة؛ مع التركيز على مسيرة زيارة الأربعين"، الدين والسياسة الثقافية، السنة الرابعة، الخريف والشتاء، العدد ٩.

٧. تاجبخش، غلامرضا (٢٠٢٠م)، "مسيرة الأربعين وأبعادها التربوية"، البصيرة والتربية الإسلامية، السنة السابعة عشرة، العدد ٥٤.

٨. تميمي آمدي، عبد الواحد (١٤٠٨ هـ ق)، "غرر الحكم ودرر الكلم"، ترجمة محمد علي أنصاري، قم: منشورات الإمام علي عليه السلام

٩. جوادي آملي، عبد الله (٢٠٠٨م)، "استمرار أثر نهضة الحسين في ازدهار العقل"، مجلة إسرا الإلكترونية، العدد ١.

١٠. جوادي آملي، عبد الله (٢٠٢١م)، "ازدهار العقل في ظل نهضة الحسين"، قم: منشورات إسرا.

١١. حسيني الطهراني، سيدمحمدمحسن (٢٠١٦م)، "الأربعين في ثقافة الشيعة"، طهران: منشورات مكتب وحي.
١٢. درودیان، محمد جواد (٢٠١٨م)، "المنظور الروحي لحدث مسيرة الأربعين الحسينية"، منظر، العدد ٤٥.
١٣. رودگر، محمد جواد (٢٠١٨م)، "ماهية ومكوّنات الأخلاق العرفانية"، الحكمة الإسلامية، العدد ٤.
١٤. الرازي، فخر الدين (١٤٢٠ هـ ق)، "التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)"، مكتب تحقيق دار احياء التراث العربى.
١٥. الساعدى، محمدعبدالرضا هادى (٢٠١٥م)، "زياره الاربعين؛ دلالات و آفاق"، قم: باقيات.
١٦. شريفي، سيد محسن (٢٠٢٢م)، "دور الأربعين في تشكيل القدرات الحضارية"، ثقافة الزيارة، العدد ٥٣.
١٧. الصدوق (١٤١٣هـ ق)، "من لا يحضره الفقيه"، قم: مكتب النشر الإسلامى.
١٨. طالبى، حامد (٢٠٢١م)، "المسيرة الأربعينية: إعلام الشيعة"، طهران: منشورات سروش.
١٩. الطباطبائي، السيد محمد حسين (١٩٩٥م). الميزان في تفسير القرآن، ج١٨، قم: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مكتب النشر الإسلامي.
٢٠. الطبرسي، فضل بن حسن (١٤٠٨ هـ ق)، مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت: دار المعرفة.
٢١. عربي، حسين‌علي (٢٠١٩م)، "مسيرة الأربعين الحسينية: المكانة والوظائف"، المعرفة، السنة الثامنة والعشرون، العدد السابع، التسلسل ٢٦٢.

٢٢. غفاري هشجين، زاهد؛ آقائي، محمد (٢٠١٨م)، "مسيرة الأربعين الحسينية كحركة اجتماعية"، العلوم السياسية، العدد ٢٧.

٢٣. فتحيان دستگردي، مرضية؛ نوروزي، قاسم (٢٠٢٢م)، "دراسة الأساليب التربوية لمسيرة زوار الأربعين الحسيني وتأثيراتها النفسية"، مجلة علمية محكمة نصف سنوية الأربعين.

٢٤. الكليني، محمد بن يعقوب (٢٠٠٩م)، "أصول الكافي"، ترجمة سيد جواد مصطفوي، طهران: منشورات العلمية الإسلامية.

٢٥. كلبايكاني، حسن (٢٠٠٨م)، "تحقيق الذات الروحية وعواملها"، طوبى.

٢٦. متقي هندي، علي بن حسام الدين (١٤٠٩هـ ق)، "كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال"، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢٧. مجموعة من المؤلفين (٢٠١٥م)، "مجموعة مقالات الأربعين"، قم: مشعر.

٢٨. المجلسي، محمد باقر (١٤٠٣هـ ق)، "بحار الأنوار"، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢٩. محمدي ري شهري، محمد (٢٠٠٦م)، "ميزان الحكمة"، قم: دار الحديث.

٣٠. مريجي، شمس‌الله (٢٠٢٤م)، "علم الاجتماع لظاهرة الأربعين"، الطبعة الأولى، أصفهان: مؤسسة بوستان الكتاب.

٣١. مظاهري، محسن‌حسام (٢٠١٨م)، "المسيرة الأربعينية: تأملات في علم الاجتماع (مجموعة مقالات)"، أصفهان: آرما.

٣٢. موسوي، سيد رضا؛ بورصادق، معين (٢٠٢٣م)، "مكوّنات الأخلاق العرفانية في الأربعين الحسيني"، مجلة معارف الحسيني، العدد ٣٢.

33. Eliade, M. (1959). The sacred and the profane: The nature of religion. Harcourt, Brace & World.

34. Bauman, Z. (2000). Liquid modernity. Polity Press.

35. Chittick, W. C. (2000). Sufism: A Short Introduction. Oneworld Publications.
36. Emmons, R. A. (2000). The psychology of ultimate concerns: Motivation and spirituality in personality. Guilford Press.
37. Frankl, V. E. (2006). Man's search for meaning. Beacon Press.
38. Geertz, C. (1973). The interpretation of cultures. Basic Books.
39. Hill, P. C., & Pargament, K. I. (2003). Advances in the conceptualization and measurement of religion: Implications for psychotherapy. Psychotherapy: Theory, Research, Practice, Training,40(1--2), 3--18.
40. King, D. B. (2008). Rethinking claims of spiritual intelligence: A definition, model, and measure [Unpublished master's thesis]. Trent University.
41. Maslow, A. H. (1968). Toward a psychology of being. Van Nostrand.
42. Momeni, M. (2018). Arbaeen pilgrimage: A new paradigm in religious tourism. Journal of Islamic Tourism Research, 1(1), 110-.
43. Pakatchi, A. (2020). The Arbaeen Walk: A Multi-Faceted Phenomenon of Religious Expression. Brill.
44. Turner, V. (1969). The ritual process: Structure and anti-structure. Aldine Publishing Company.
45. Durkheim, É. (1912). The Elementary Forms of Religious Life. Free Press.
46. Putnam, R. D. (2000). Bowling Alone: The Collapse and Revival of American Community. Simon & Schuster.

المصادر الرقمية

١. پارسالب. (٢٠٢٥م) معرفة النفس في الإسلام https://parsalab.com/blog/خودشناسی-از-نظر-اسلام/ .

٢. موقع آية الله مكارم شيرازي. (٢٠٢٥م) معرفة النفس في الإسلام https://news.makarem.ir/fa/News/Details/430726.

٣. پرنا، عبد الرضا (٢٠٢٤م)، "أهمية وآثار زيارة الأربعين ودورها في ثقافة الانتظار"، جامعة فرهنگيان https://www.isna.ir/news/1403052819155/.

٤. وكالة الحوزة. (٢٠١٥م) أساليب معرفة النفس من منظور القرآن والروايات https://www.hawzahnews.com/news/365936.

٥. وكالة مهر. (٢٠١٢م) مكانة معرفة النفس في القرآن والروايات https://www.mehrnews.com/news/2011801.

٦. الموسوعة الإسلامية. (٢٠٢٣م) الدور الثقافي لتجمع الأربعين الحسيني https://farhangziarat.hzrc.ac.ir/article_100999.html

٧. الموسوعة الإسلامية. (٢٠٢١م) معرفة النفس https://wiki.ahlolbait.com/خودشناسی

٨. راسخون. (٢٠٠٩م) التصوف الإسلامي (٧): النفس ومراحلها السبع https://rasekhoon.net/article/show/137707

٩. مؤسسة أبحاث أهل البيت عليهم السلام. (٢٠١٥م) معرفة النفس في الأحاديث https://ahlolbait.com/content/5050

١٠. هدانا. (٢٠١٩م) معرفة النفس في الإسلام https://hadana.ir/خودشناسی-در-اسلام.

١١. ويكي شيعة. (٢٠٢٣م) مراتب النفس https://fa.wikishia.net/view/ مراتب_نفس

١٢. Arbaeenjournal.com. (بدون تاريخ). تبيين العلاقة بين الصحة الروحية والصحة الاجتماعية في مسيرة الأربعين. https://www.arbaeenjournal.com/

١٣. Civilica. (2024, June 29). الأربعين فرصة لتعزيز الدعم الاجتماعي، الصمود والفرص... https://civilica.com/note/4417/

١٤. Ghollami, R. (2024, February 28). مسيرة الأربعين والبناء الذاتي الفردي والاجتماعي. https://r-gholami.ir/

١٥. Migna.ir. (2023, August 29). الصمود الاجتماعي من الدروس المستفادة من مسيرة الأربعين. https://www.migna.ir/news/

١٦. Rasekhoon.net. (2020, January 1). دراسة مسيرة الأربعين من منظور علم الاجتماع السياسي. https://rasekhoon.net/article/show/1491575.